

Research lapses in the field of communication and information - A review in light of the academic achievements at the Algerian University -



Received: 21/04/2024; Accepted: 20/06/2024

Yakoub BENSEGHIR *

University Center of Barika (Algeria), Yakoub.benseghir@cu-barika.dz

هفوات البحث في ميدان علوم الاتصال والإعلام - مراجعة في ضوء المنجز الأكاديمي بالجامعة الجزائرية -

الكلمات المفتاحية:
البحث ؛
الهفوات ؛
المنهجية ؛
النظرية ؛
الميدان .

ملخص

ينشغل هذا البحث التشخيصي بمحاولة الكشف عن أهم مواطن الخلل والهفوات المتعلقة بإعداد المذكرات والأطروحات العلمية في ميدان علوم الاتصال والإعلام بالجامعة الجزائرية؛ وذلك من خلال الحفر في أربعة مستويات محورية وهي "التصورية، المنهجية، النظرية، والتطبيقية"؛ حيث يسلك الباحث في سبيل تحقيق أهدافه المرجوة الاعتماد على "المقاربة الفهمية التحليلية" من خلال "الملاحظة بالتصفح" للعديد من المذكرات والأطروحات العلمية بجامعة الجزائر 3 وقسنطينة 3، بالإضافة إلى مجموعة "المقابلات العلمية" التي أجراها مع أساتذة باحثين في التخصص.

ويخلص هذا البحث إلى ضبط جملة من التوصيات العلمية الهامة ذات الصلة بتجويد مختلف الممارسات البحثية الأكاديمية بما فيها إعداد مذكرات التخرج وأطروحات الدكتوراه، من خلال عرض حلول وإرشادي من شأنه أن يُضيف الكثير لخارطة البحث الميداني في علوم الاتصال والإعلام بالجامعة الجزائرية. ولهذا يقترح في نهايته ضرورة فتح نقاش علمي جاد بين الفاعلين المتخصصين لمساءلة وتقييم تجربة البحث في الميدان الاتصالي والإعلامي بعد أزيد من نصف قرن من الجهود والوجود في الجامعة الجزائرية.

Abstract

This diagnostic research is concerned with trying to uncover the most important lapses related to the preparation of memoirs and scientific theses in the field of communication and information sciences at Algerian universities, by digging into four pivotal levels: "conceptualization, methodology, theory, and practice". In order to achieve the desired objectives, the researcher relies on the "analytical approach" through "observation by browsing" several research projects at the Universities of Algiers 3 and Constantine 3, in addition to "scientific interviews" with research professors in the specialization.

This research concludes with a set of important scientific recommendations related to the optimization of various academic research practices, including the preparation of memoirs and scientific theses, through a solution and guidance that would add a lot to the map of field research in communication and information sciences at the Algerian university. Therefore, it suggests the need to open a scientific debate among specialized actors to evaluate the experience of research in the field after more than half a century of existence in the Algerian university.

Keywords:

Research ;
Lapses ;
Methodology ;
Theory ;
Field.

* Corresponding author, e-mail: yakoub.benseghir@cu-barika.dz

Doi:

I - مقدمة

يُشكّل البحث في ميدان علوم الاتصال والإعلام واحدًا من أعقد التّحديات العلمية التي تواجه الباحثين وذلك لسببين رئيسيين؛ أما الأول فلكونه علمٌ سليل العلوم الانسانية والاجتماعية التي توصف مشكلاتها وموضوعاتها بالتجريد واللاتّبات والنسبية، فيما الثاني يرتبط بالميلاد الحديث والعسير - في آن - لحقلٍ لا يزال يبحث عن ماهيته العلمية وعن موضوعات خاصّة ومستقلة ينفرد بها في مسار خلق هوية معرفية أكثر وضوحًا واستقلالية، قد تمكّنه من تجاوز نظرة الشك لكل من هو داخل دائرة العلوم الانسانية - خارج الدائرة الصّغيرة لهذا العلم الجديد؛ وقد عبّر عن هذه الحقيقة الباحث السوسيولوجي الفرنسي Domminique Wolton بقوله: (Cabin et autres 1998, 50)

"إنّ ميدان الاتصال لا يستطيع بل لا يجب أن يكون موضوع علم موحّد، فهو بطبيعته ميدان متشعب يخص ثلاث قطاعات كبرى والتي تتمثّل في العلوم العصبية، العلوم المعرفية والعلوم الاجتماعية. كما يخص العديد من التّخصصات على غرار الفلسفة، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، الجغرافيا، التاريخ، الحقوق، العلوم السياسية وعلم النفس..."

وكثيرًا ما يواجه الدّارس في ميدان علوم الاتصال والإعلام حالات شك وارتباك قبل وأثناء - وحتى بعد - إنجازها للبحوث الميدانية، هذه الحالات غالبًا ما تترجمها مشاغل واستفهامات يُسارع في طرحها على العارفين بالمنهجية المظلمة من الباحثين والخبراء ومحيطه العلمي إذا اقتضت الضّرورة، البعض منها يندرج ضمن دائرة الاستفهامات الطّبيعية لكونها ترتبط بتصورات مفتوحة الأفق وبخيارات إجرائية يمكن الاختلاف فيها والتّفاوض حيالها، بالمقابل بعض الاستفهامات الأخرى تتم على قصور فهمي غير مقبول يتعلق بالفهم الخاطئ لسيرورة البحث ومتطلباته، ما يعني احتمالية الانحراف عن المسار السّليم، وعلى خط هذا الاستفهام يمكن القول أنّ الباحث يعيش معرفيًا ولحظيًا - أزمة إجرائية إن جاز التّعبير -

إنّ المشخّص و الفاحص لبحوث الاتصال والإعلام بمختلف أشكالها (أبحاث فرق ومخابر البحث، مقالات ودراسات ميدانية، أطروحات دكتوراه... وغيرها)، يمكن أن يربط بواعث الإخفاق أو الفشل في إنجاز بحوث علمية مفيدة تسهم في الإضافة للمعرفة المنجزة إلى نقاط كثيرة يُمكن محاصرتها في أربعة جوانب أساسية؛ تصورية، منهجية، نظرية، تطبيقية؛ وفي هذا الصّد لا تجد حرجًا بعض الأبحاث التّشخيصية التي اهتمت بواقع الإسهامات العربية في التّنظير وإثراء المعرفة الإعلامية في الاعتراف - وفقًا لمخرجات تحقيقها - بقصور المكتبة العربية في محاولات التّنظير الإعلامي والاتصالي، وهذا راجع لجملة من الإشكاليات المتعددة والمرتبطة باختيار الموضوعات والمناهج والأدوات البحثية وقلة المبادرات التي تسعى إلى إثراء المجال الابستمولوجي في مجال علوم الاتصال والإعلام. (مصطفى 2022)

وفقًا لما سبق، فإنّ الحاجة إلى تعرية هذا الفشل العلمي أو حتّى لا نبالغ هذا "الاختلال المنهجي" بات مطلبًا ملحًا للفهم والتّشخيص، وُجب على الباحثين الوقوف عنده، بالنظر لأهمية "النسيج المنهجي" داخل العمليات البحثية وتأثيرها في ضمان جودة البحوث على المستويات الأربعة: المنهجية والنظرية والميدانية؛ ففي المستوى الأول تضمن سلامة منطقتنا وخياراتنا المنهجية إمكانية الوصول الصّحيح والأمن إلى ميدان البحث وضبطه ضبطًا سليمًا وفق الأهداف المرجوة؛ وفي المستوى الثاني تمنحنا المقاربة النظرية السّليمة قدرة هائلة في السّيطرة على النّماذج النّظرية المناسبة للبحث وعلى التّوجهات المعرفية المتاحة فيه، وفي كلا الحالتين الوصول إلى الميدان - المستوى التّطبيقي - بصورة سليمة من شأنها أن تحقق الأهداف البحثية والوصول إلى نتائج علمية من شأنها تقديم الإضافة للمعرفة العلمية التي يروجها البحث بشكل عام، وقبل هذا تحقيق الانسجام المنهجي والمعرفي المطلوب في أي نشاط بحثي مهما كان.

في هذا المنحى، يشتغل هذا البحث على رصد وتشخيص مختلف المشكلات والعوائق الاجرائية والمنهجية الشّائعة التي يواجهها الباحثون في علوم الاتصال والإعلام، وذلك من خلال فحص الباحث لمجموعة من البحوث الأكاديمية المُنجزة في ميدان علوم الاتصال والإعلام ببعض مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، وعلى رأسها جامعتي الجزائر 3 وقسنطينة 3، بحكم أنّ الباحث تربطه علاقة بالجامعتين تكوينًا وتدريبًا وتباحثًا... بالإضافة إلى قربه من حلقات البحث بها، جلسات الإشراف والمناقشة... وكلّها مكّنته من تسجيل ورصد ما أمكن من المآخذ والهفوات التي سيسلط الضوء عليها.

وإن كان الخلاف والاختلاف قائمًا في منهجية البحوث العلمية في مجال العلوم الاجتماعية بشكل عام، فهذا حتّمًا لا يؤثّر على خلل في البحث، بقدر ما يُعبّر على ثراء المسارات والحلول والخطوط المنهجية المتاحة والمقترحة من قبل الباحثين، يقول مايرينغ Mayring في هذا الصّد "ربما لا يوجد موضوع في العلوم الاجتماعية يحتوي على اختلافات في الرأي أكثر من منهجية البحث". (دليو، 2022، صفحة 14) لكنه ذا الاختلاف لا يبرّر حقيقة وجود بعض الصّوابات والقواعد والأسس الصّريحة التي لا خلاف فيها، والتي لا ينبغي على الباحث أن يقع فيها خصوصًا إذا كانت تندرج في دائرة المنطقي، والمسلّم به.

وتأسيساً على هذه المطارحات، يجتهد هذا المقال العلمي في استعراض أهم المشكلات والهفوات الشائعة التي يقع فيها الباحثون في ميدان علوم الاتصال والإعلام، وذلك على المستويات الخمس - المشار إليها سلفاً -؛ والتي لا يمكن من خلال النقاط المثارة أن تدعي الدقة والصواب الكاملين، بقدر ما تجتهد في ذلك، اعتباراً لـ "مبدأ الاختلاف" الوارد في تصور المنهجية العلمية والرؤية تجاه طبيعة الظواهر العلمية المثارة للبحث، وعليه يمكن إثارة إشكالية مفصلية أساسية:

ما هي أهم المشكلات والهفوات التي يقع فيها الطلبة والباحثين عند إنجازهم للبحوث العلمية في ميدان علوم الاتصال والإعلام بالجزائر؟
أهداف البحث: يرمي هذا البحث إلى:

- محاصرة أهم المشكلات والعوائق التصورية والمنهجية المرتبطة بالبحث الاتصالي والإعلامي.
- الوقوف على أهم الهفوات ومواطن القصور في المقاربتين النظرية والتطبيقية عند إنجاز بحوث الاتصال والإعلام.
- تبيان الأطروحة القائلة أنّ المنطلقات الخاطئة لا يمكن أن تقود إلا إلى نتائج خاطئة، ومن ثمّ إلى تشويه الحقيقة العلمية ذات الصلة بالميدان المبحوث في.
- محاولة التّخمين في الآفاق الممكنة لبعث روح جديدة في التجربة البحثية الأكاديمية لتخصص علوم الاتصال والإعلام الجزائر بعد أزيد من نصف قرن من الجهود والوجود.
- عرض واقتراح التصورات والمقترحات الممكنة المتعلقة بتجويد العمليات البحثية في مختلف المراحل والمسارات.

II- أسلوب البحث وأدواته:

اعتمدنا في هذا البحث من خلال الورشات والمستويات المفتوحة أساساً على "المقاربة الفهمية التأويلية" من خلال تشريح وفحص واقع البحوث المنجزة في علوم الإعلام والاتصال، ومحاولة تتبع المخرجات البحثية ذات الصلة، ولهذا الأساس استخدمنا تقنية **الملاحظة العلمية** وبالضبط "الملاحظة بالتصفح"؛ من خلال مراجعة وتصفح ما أمكن من المذكرات والأطروحات العلمية بجامعة الجزائر 3 وقسنطينة 3 والمنجزات البحثية لأساتذة التخصص - علوم الإعلام والاتصال -، انطلاقاً من كون أنّ الباحث قريب جداً من المنظومة البحثية بهاتين الجامعتين، فحلقات البحث وجلسات الإشراف والمناقشة على مستويي الماستر والدكتوراه ومرافقة الأساتذة معرفياً وبحثياً، مكننا من أخذ صورة كافية عن مختلف المآخذ والهفوات البحثية التي سيسلط الضوء عليها. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، اعتمدنا في مسار فهم وفك إشكالية هذا البحث على أداة **المقابلة العلمية غير الموجهة** التي تمّ إجراؤها مع عينة من أساتذة علوم الاتصال والإعلام من مصاف درجتي "أستاذ التعليم العالي" و"محاضر أ" بمختلف الجامعات الجزائرية، وذلك من خلال البدء في تسطير مقابلات مفتوحة إلكترونياً انطلقت مع نهاية العام 2022، حيث قمنا آنذاك بالاتصال بمجموعة من الأساتذة المعنيين لمشاركتنا العملية، البعض تماطل ولم يتجاوب معنا في الحدود المطلوبة والبعض الآخر تجاوب وتفاعل في الردود وبكفاية أيضاً، وهؤلاء الأساتذة الذين شملهم البحث هم من مؤسسات جامعية مختلفة يمثلون جامعات: إبراهيم سلطان شبيوط/ الجزائر 3، صالح بوبنيدر/ قسنطينة 3، الأمير عبد القادر/ قسنطينة، جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي، جامعة أحمد بن بلّة/ وهران 1.

III- مفاهيم البحث :

أ. العلم (Science): يذهب موريس أنجرس بالقول أنّ العلم هو "مجموعة منسجمة من المعارف المتعلقة ببعض فئات الظواهر أو المواضيع المنتجة طلقاً لمنهج وطريقة خاصتين، أي البحث". (أنجرس 2004، 470). وينظر ويبستر Webster في قاموسه العلمي للعلم من زاويتين اثنتين: (المناسبة 1995، 16)

- العلم هو **المعرفة المنسقة** Systematized Knowledge الناشئة عن الملاحظة، الدراسة والتجربة.
- العلم **كفرع من فروع المعرفة** أو الدراسة؛ خصوصاً ما يتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض.

ب. العلوم الإنسانية (Sciences humaines): يشير موريس أنجرس إلى أن العلوم الإنسانية هي العلوم التي تتخذ من الكائن البشري موضوعاً للدراسة. (أنجرس 2004، 470)

ج. البحث (Research):

يشير مفهوم "البحث" إلى طريقة جمع معلومات دقيقة وموثوقة بغية تطوير المعرفة، والبحث يشير إلى عملية جمع البيانات وتصنيفها وتفسيرها/ تأويلها بغية اكتشاف معلومات جديدة أو الوصول إلى فهم جديد. نقلاً عن Cambridge Dictionary. (دليو، 2022، صفحة 17)

البحث منهجياً وعلمياً يعني أن نبحث ثم نبحث مرّة ثانية أو من جديد، أعمق وأدق. وهنا يمكن الفرق بين من يفتش search وبين من يبحث re-search. (شيّا 2018)

والبحث هو نشاط منظم يُجرّبه باحث أو فريق بحث من أجل فك مشكلة أو مجموعة مشكلات ومحاولة اكتشاف واختبار

علاقات جديدة بين متغيرات مختلفة أو معلومات محيئة، أو تصحيح أو تحقيق أو تطوير الحقائق والمعلومات الحالية. (العبد الله و شين 2012، 72)

IV- مناقشة النتائج في ضوء تساؤلات البحث :

أ. الهفوات المسجلة على مستوى تصور البحث والإشكاليات المثارة:

1. المركز والهامش في موضوعات البحث: فالبحث في ميدان الإعلام والاتصال يتطلب السؤال: ما الموضوع أو الظاهرة الاتصالية والإعلامية الأهم والأحق بالبحث والتقصي؟ فبعض الموضوعات تأخذ أهميتها لاعتبارات عدة؛ المطلب السياقي، غياب التراكمية المعرفية، أفق بحثي مفتوح... شريطة أن تنتم الموضوعات بالهوية التخصصية، في هذا الصدد يذهب كارل بوبر Karl Popper بالقول: (Popper 1989, 67)

" مواضيع البحث أو طبيعة الأشياء التي تدرس هي القاعدة الأولى للتمييز بين التخصصات... إننا لا ندرس المواضيع بل المشاكل، وكل مشكل يمكن أن يحدّد بالحدود الخاصة بموضوع ما أو تخصص ما".

إنّ المشكل يتمظهر في تحديد ماهية البحث في علوم الاتصال والإعلام (ماذا نبحت؟) وما الموضوع الأكثر قيمة في البحث، خصوصاً وأنّ الإشكاليات التي تُعالج في هذه العلوم هي إشكاليات متعددة المشارب والتوجهات والتطبيقات.

2. أولوية التفكير في "كيفيات البحث المناسبة": يعتبر التفكير المنهجي على حد تعبير سعيد لوصيف "تفكيراً معقداً بامتياز"؛ إذ يحيل إلى ذلك التفكير التقدي المبدع - على حد ما ينقله عن إدغار موران Edgar Morin - والذي يمكن الباحث من تجاوز عائق الاختزال Réductionnisme، وعائق التجزئة Parcelarisation، ويمكنه أيضاً من التحرر من سطوة "التخصص الضيق" كنسق معرفي مغلق ومحدود، تأسيساً على هذا فإنّ لوصيف يعتقد أنّه إذا كان طابع التعقيد يفرض علينا باستمرار مساءلة الظواهر الاجتماعية، فإنّه يفرض علينا أكثر وبإلحاح مساءلة "الكيفيات التي نعالج بها الظواهر والإشكاليات المرتبطة بها". (لوصيف، 2016 الصفحات 43 - 44) أي أولوية التفكير في: كيف نبحت؟ قبل السؤال: فيما يجب أن نبحت؟ وبهذا فإنّ عملية البحث ليست بتلك العملية البسيطة - التقليدية كما يتصورها البعض.

3. اتساع الهوة بين مواضيع البحث المثارة وبين المعرفة المؤطرة للتخصص: وهنا يُثير معنا حجام مسألة في غاية الأهمية تتعلق بتزايد الهوة بين الموضوعات التي يطرحها الرّاهن الاتصالي والإعلامي والاجتماعي والثقافي... من جهة، وبين المعرفة المؤطرة للبحث العلمي في التخصص؛ وهي المعرفة التي في غالبها تمّ تجاوزها بحكم استهلاكيتها على نطاق واسع من جهة ثانية. بمعنى آخر التعامل مع ظواهر مستجدة بعدّة معرفية قديمة تمّ تجاوزها، وهذا ما لم يترك العقل العلمي في ميدان الاتصال والإعلام وحتى دراسات الميديا الاجتماعية عقلاً ديناميكياً متجدداً، وجعله عقلاً استهلاكياً. مع تصاعد تيار استهلاك المعارف والأطروحات المعرفية القديمة والكلاسيكية. (حجام 2024) ويوعز غالم بواحد تكرار المواضيع وتكرار الأخطاء وغياب الرؤية البحثية والجدوى من البحث في هذا الحقل المعرفي إلى غياب التنسيق بين الجامعات والأقسام. (غالم 2022)

4. موضوع البحث وذهنية الباحث: إذ أنّه ليس كل الموضوعات التي نرغب في طرحها وأشكلتها علمياً قابلة للتجسيد في ميدان البحث. ويحيلنا هنا مورييس أنجرس إلى خمسة معايير محورية لقابلية تنفيذ البحث وهي المحدّدات المكانية، الزمانية، المادية، الإدارية والذهنية. إنّ عدم المقدرة على تجهيز وضبط بعض هذه المحدّدات من شأنه يؤدي إلى صعوبة استكمال المسار أو استحالة أصلًا.

يستعرض في مقابلتنا له فضيل دليو ضمن المحدّد الأخير طرحاً يراه يعكس خصوصية الباحث في بيئة البحث المحلية، وهو أنّ هنالك مشكلات متعلقة بتضخم الأنا والطموح الزائد والمثالية في اختيار مواضيع معقدة لا تقابلها إمكانيات معرفية ومنهجية مكافئة أو وقت كاف أو إشراف مناسب، أين يلحظ وجود فجوة كبيرة بين النوايا والممارسات التطبيقية... أو على النقيض من ذلك: اجترار مواضيع "مدرسة" (من "الدرس الموسمي" في الفلاحة) - بتعبيره - (دليو 2022)

5. قناعات البحث ومساراته: فالبحث يُجرى في ظروف خاصّة ووفق شروط ترتبط بهوية البحث، شخصية الباحث وكذا المنظومة التي تُؤطر عملية البحث؛ فالسؤال الابتدائي (لماذا نبحت؟) يظهر كسؤال حاسم لتقدير الجودة والحكم على مسارات البحث وآفاقه؛ فالبحث الذي يُنجز تحت ضغط الزّمن بغية نيل الشهادة أو الدّرجة من شأنه أن يوقع الباحث في التسرع والاختزالية، والبحث الذي يُجرى رضوخاً لتعليمات وتوجيهات إدارية لحظة اختيار الموضوع، من شأنه أن يأخذ الباحث إلى اللّا جدوى والتسطيح وعدم الإضافة للمعرفة المنجزة. فالأصل أنّ عملية البحث عملية معقدة

لا تتوقف عند التوجيهات إدارية، فالذي يحرك البحث هو القنوات المنهجية و الاستيمولوجية والميدانية - قابلة للتبدل إجرائيًا -.

إنّ مسالة الذات بالسؤال الابتدائي (لماذا نبحت؟) هي مسالة واعية تجربنا على النّظر بتوقع إلى خط الوصول قبل أن ننطلق في أي مشروع بحثي، حيث يحيلنا هذا السؤال للحديث عن مسألة الانبهارية (العابد 2023) التي كثيرًا ما تأخذ بعض الباحثين أثناء مرحلة اختيارهم للموضوعات العلمية تحت تأثير لحظة ما، أو الحماسة الظرفية الزائدة... وما غير ذلك، كأولئك الذين يختارون بعجالة موضوعات "المعالجة الإعلامية لقضية سياسية ما"، إذ وتحت تأثير الهول الإعلامي وتقديمه كموضوع للسّاعة و"التريند"، لا يفكر هؤلاء في ديمومة مواضيعهم وعمرها وأهميتها ومآلاتها في وقت لاحق. حتّى أنّ كثيرًا منهم من يتوقف في منتصف الطريق طالبًا اختيار مسلك بحثي آخر، والابتداء من جديد.

6. تسريع الانطلاقة واختزالية المسار: ويظهر ذلك من خلال رغبة الباحث في إنهاء البحث قبل الانطلاق فيه أصلًا - كما يعبر عنه رضوان بوجمعة - ذلك أنّ الباحث يرغب في ضبط موضوع بحثه مبكرًا قبل الاشتغال عليه والتّفكير في حدوده وأبعاده وأفاقه وفرص الإضافة فيه، وكأنّ المسألة تتعلق بضرورة التّخلص من هم إداري تفرضه الدوائر الإدارية واللجان العلمية للأقسام والكلّيات، والذي يحتمّ على الباحث ضبط الموضوع والمشروع النهائي في آجال زمنية محدّدة، مع أنّ ممارسة البحث عملية معقّدة ومضنية لا يمكن اختزال مراحلها في أسابيع قليلة، لا اعتبار أنّها تخضع لخطط متعددة وخطوات كثيرة وأهداف بحثية بعيدة المدى، يفرض علينا احترامها أخلاقيات البحث قبل كل شيء.

7. ضبابية طبيعة البحث: كل بحث علمي له خصوصية وهوية ما، فتعدّد الظواهر والموضوعات العلمية التي يتصدّى لها الباحث تجبره على اختيار مسار معيّن تبعًا لجملة من المعطيات والمعايير؛ ومع أن بحوث الإعلام والاتصال تتوزّع على أنواع ثلاث "استكشافية، وصفية وتجريبية"، إلّا أنّه في بعض الأحيان لا تبرز هوية البحث وخصوصية إجراءاته في أغلب مسارات البحث، خصوصًا عند استعراض المنهج والأدوات المختارة.

هذا عدا تسجيل ملاحظة مهمّة في السياق المحلي للبحث، وهي سيطرة الاتجاه الوصفي بشكل مبالغ فيه على حساب بحوث الاستكشاف تحديّدًا، التي من شأنها - على الأرجح - أن تقدّم إضافية حقيقيّة في المعرفة العلمية حيال ظواهر الاتصال والإعلام، وهذا يبرره في الغالب رغبة الدوائر البحثية في تسريع عجلة البحث وأحيانًا التّخلص منه - مع ما يمنحه المنهج المسحي وأدوات بحثية من قبيل استمارة الاستبانة - بهدف التّيسيط وعدم الخروج عن المألوف وعدم الوقوع في أي مغامرة بحثية لا يُعرف لها مآل.

ب. الهفوات المسجلة على مستوى الإجراءات المنهجية للبحث:

1. الاستهلاك وتشابه البحوث: حيث يسجّل في كثير من البحوث والدّراسات والأطروحات العلمية إثارة إشكاليات مستهلكة ومتشابهة على نطاق واسع، الأغرب فيها أنّها تثار في أسئلة استفهامية بأسلوب تعبيرى واحد، وهذا يعطينا مؤشرين اثنين؛ أما الأول فيرتبط بالنّسطين وتترجمه حقيقة العادات السلبية التي يصبح فيها الباحث يمارس عملية مقنّنة "تحرير ميكانيكي" لإشكالية سبقها طرحها بطريقة ما ويعاد تكرارها بالطريقة نفسها، بدل ممارسة حق التّفكير فيها والظعن في مشروعيتها المعرفية، قبل بنائها وإثارتها استفهامًا بشكل مناسب. فيما الثاني - وهو على ارتباط بالمؤشر الأول - التّمييط؛ والذي يظهر من خلال "الباحث المقولب" الذي يخشى المغامرة في مسارات البحث والخوض في تجارب جديدة مغايرة واستكشافية في الطّرح قبل المنهج حتّى، وهذا هو المبدأ في ممارسة البحث، أن نعبّد الطريق لغيرنا ونفتح أفقًا وتصورات مستقبلية جديدة.

2. منهجية البحث والتّفكير داخل الصندوق لا خارجه: حيث أنّ تطابق وتشابه النّتائج البحثية في كثير من الدّراسات العلمية في علوم الاتصال والإعلام هو نتيجة حتمية ومتوقعة، بحكم شيوع أزمة "استنساخ إجراءات البحث وطرقه"؛ نشرب من الكأس نفسه ونغترف بالمعلقة ذاتها! فالبحت في ظواهر الاتصال والإعلام أصبحت معالمه كالرياضيات والقانون والحسابات اليقينية، خصوصًا في ظل خضوع الباحث المبالغ فيه للمنهجية الكمية وانغلاقه داخل جداول احصائية لم يعرف مبارحتها، هذه المنهجية بالذات - على فضائلها - سجت شريحة واسعة من الباحثين وشمّعت تفكيرهم دون أن تقوي مداركهم وتحرّر قدراتهم العلمية. ليس قصورًا فيها كمنهجية ثابتة، وإنّما لتسطيحهم لها، إمّا لساذجتهم واختزالهم لها أو لجهلهم للفرص والحلول الرياضياتية المتعدّدة التي توفّر لها. وهي النقطة التي يؤكدّها البار فيما يسميه بصنميّة "المناهج الكميّة" واتجاه أغلب الباحثين خصوصًا في طور الماستر إلى هذا النوع من المناهج، وهو ما يكيح حسبه اشتغال العقل العلمي أمام الاستسلام للقوالب الجاهزة. (البار 2024)

3. الجهل بخصوصية الأدوات والتقنيات البحثية: حيث يسجّل هنا أنّ البعض من الباحثين يكفي أن يختار أداة أو أدوات

بعينها بغض النظر ما إن كانت تخدم مشروع بحثه أم لا، ويكفي أيضاً - من وجهة نظره - أنه يُحسن استخدام هذه الأداة أو الأدوات دون غيرها، وهذا الإشكال راجع لكون أن الكثير من الباحثين يجهلون مواطن التوظيف المناسب للأدوات والتقنيات البحثية المتاحة، إذ لا يفرّقون من جهة بين طبيعة البحث وخصوصيته (استطلاعية، وصفية، تأويلية...)، ومن جهة ثانية بين طبيعة البيانات المراد الوصول لها (بيانات ذات طابع كمّي/ استنباطي، أو بيانات ذات طابع كيفي/ استقرائي). ومسألة هذا الخلط الحاصل تؤكدّه قزادري بقولها أن الباحث يقوم أحياناً باعتماد أدوات بحثية غير مناسبة للمنهج المختار، كأن يعتمد على استمارة الاستبانة في منهج دراسة الحالة بدل اعتماده على المقابلة أو الملاحظة التي تتوافق مع منهجه. (قزادري 2022)

4. الاستنقاص من الذات وتقزيم جهود البحث "النحن"؛ إذا ما تعلّق الأمر بمراجعة الباحث للإرث النظري والمعرفي المرتبط بموضوع بحثه؛ حيث أن البعض يميل إلى فحص واستخدام مختلف المراجع والمصادر العلمية لباحثين من خارج بيئة البحث - جغرافيا العيش - والاستدلال بها ومناقشة أفكارها باسترسال وربطها بقتاعة، مع التغيب القسدي لجهود باحثي "البيئة المشتركة" لهم ولموضوعاتهم ذات الصلة، اعتقاداً منه أن توافر المرجع الأجنبي هو ثراء للموضوع دون مسالة القيمة المعرفية التي يمكن أن يضيفها.

توضيحاً في هذا المنحى، هل هنالك مبرر في أن نطلع على دراسة أكاديمية ما تتناول إشكالية علمية سياقية من سياقاتنا كموضوع علمي مثلاً - لا للحرص - "دلالات لغة الجدران لدى المراهق الجزائري" لا تستأنس ولا تسترشد بنتائج علمية ما سبق التوصل إليها من قبل باحث من البيئة نفسها. إن نية تفادي أو تجاوز الاستدلال أو الاستشهاد بدراسة محلية واحدة - اعتقاداً أن ذكر المرجع أو الإشارة إليه يُضعف من الموقف العلمي، يجعل من الكيان النظري والميداني على السواء مفرغاً من الحقيقة العلمية في ظل غياب خصوصية البيئة التي نكتب لها وعليها، وهذا لا يختصر سوى مسافة الفشل البحثي مع استحالة فك شفرة الإشكالية المثارة بالشكل العلمي السليم.

5. غياب الجدوى من الدراسات السابقة: حيث تبرز فراغات كبيرة في مساحات البحث في كثير من الدراسات العلمية بين الدراسة السابقة والبحث الجاري؛ وهنا يغيب على كثير من الباحثين فكرة أن الدراسات السابقة التي يأخذ بها في مشروع، تعبّر عن طبيعة وأصالة بحثه ورويته للموضوع قيد البحث في مرآة ما أنجز وحيك من السابقين، إذ يتعين عليه أن يظهر قراءته الفاحصة والذكية فيها، أن يكشف معالم الغموض ومواطن التناقض بداخلها، جوانب الخل، نقاط القوة... وأن يُثير الضوء على متغيرات بحثية موارية، علاقات قائمة مثلاً. فالدراسات السابقة لا تُبنى من فراغ Vacuun وإنما هي عملية معرفية تراكمية، جوهرها تحقيق ما يُسمّى بالفجوة المعرفية Gap of Knowledge، ما معناه أن نستدرك أو نضيف جانباً ما أو نجرب مساراً ما على ما سبق، أو نحقق في صدقية نتائج بحث ما بأدوات وطرائق بحثية مغايرة... أن نفتح آفاق بحث منته، لكنّه بحاجة لأن يولد من- جديد.

إلى جانب هذا تُسجّل ملاحظة أخرى ذات صلة، وهي اتجاه بعض الباحثين إلى التّخلص من الدراسات السابقة المعتمدة مباشرة مع إنهائهم للبناء المنهجي وإجراءاته سواء بقصد أو عن غير قصد، حيث يُلاحظ غياب تام أو في أحسن الأحوال شبه تام لتلك الدراسات السابقة التي استرشد واتكئ عليها الباحث، خصوصاً في المرحلة الأخيرة مع الميدان وقراءة النتائج والتعليق والتحليل، التي يفترض فيها إعادة استحضار نتائج وخواتيم تلك الدراسات لإجراء مقارنات أو عرض تناقضات أو التشكيك في معطيات أو إثارة إضاعات... إلى غير ذلك. وهي المسألة نفسها التي ترصدها **فجالي** في الغياب التام للاستشهادات العلمية أو عقد المقارنة بين نتائج دراسة الباحث وبين الدراسات السابقة، وهذا الأمر في تلاحظه في غالبية الأعمال البحثية. (فجالي 2022)

ج. الهفوات المسجلة على مستوى المقاربات النظرية وأطر ضبط الموضوع:

1. ضعف أساسات البناء النظري: لأنّ المنطلقات النظرية تُشكّل اللبنة الرئيسيّة في البحوث الاتصالية والإعلامية، فإنّ الانطلاق العشوائي للبحث من شأنه أن يُشتت المسار البحثي برمته، فعدم التخطيط المسبق والتفكير الجيد في إشكالية البحث هو الذي يوقع الباحث في عدم القدرة على الرّبط الجيد لمستويات وجوانب بحثه، ويثير **نصر الدين لعياضي** في هذه النقطة مسألة مهمة تتعلق باستبعاد فكرة "النظرية المتجذّرة" Ancrée grounded والمتمثلة في بناء الإطار النظري لحظة البحث الإمبريقي، وليس قبله، أي أثناء صياغة فرضيات البحث ومراجعة أدبياته، وهذا ما يعتبره عائقاً من عوائق البحث في المنطقة العربية. (لعياضي 2016، 122)

2. الانعقاد للنظريات الكلاسيكية: ويظهر ذلك من خلال تبعية الباحثين للنظريات والنماذج النظرية التقليدية السائدة في ميدان الاتصال والإعلام والأخذ بها في مختلف المسارات والتّوجهات البحثية، بغض النظر عن مدى موائمتها الفكرية والسياقية للإشكاليات المطروحة، وهذا لوحده يبرر في كثير من المرات عن أسباب الاخفاق في الانتاج العلمي والوقوع

في دائرة الرتابة والتكرار والاستهلاك.

ومن بين أبرز مؤشرات هذا الانعتاق هو اختيار نظرية كلاسيكية - قد لا توائم حتى سياقها - وتفعيل تصوراتها ومفاهيمها وفروضها دراية أو اعتباطيا في فك إشكالية علمية راهنية؛ ليس من السهل معالجتها بطروحات معرفية وأدوات فكرية قديمة خارج زمن البحث. لا يمكن على سبيل المثال فهم وتقييم تجربة "الأنشطة التي يمارسها هواة المينافيرس" من خلال وجودهم في مساحات افتراضية، بتطبيق نظرية كالأستخدامات والاشباع، مع أن هذه النظرية يمكن أن توفر أرضية معرفية - ليست كافية حتماً - لفهم بعض جوانب هذا الحضور الافتراضي وتتبع مآلات هذا الاستخدام.

3. التكرار لخياراتنا؛ ويظهر ذلك من خلال اختيار الباحث لمقاربة نظرية معينة دون الالتزام بها، حيث أن تبني مقاربة نظرية معينة والنية في توظيفها ضمن الاشتغال على فك إشكالية علمية ما، يفرض على الباحث عمليا الالتزام بكل تصورات وركائز المقاربة المختارة بغض النظر عن مستواها (نظرية، مقترح، نموذج...)؛ فالمسألة أشبه بلواحق وإكسسورات هاتف نقال نشتره، لا يمكن أن نشتره هاتفاً من نوع oppo، ونشحن بطاريته بشاحن من نوع Huawei ونوصل سماعته بـ Samsung مثلاً، نحن هنا بحاجة إلى كل ما يرتبط بعلامة oppo وفقط، الأمر ذاته، نحن بحاجة إلى النظرية بجميع لواحقها وأدواتها المعرفية والإجرائية دون غيرها. فمشكلة الباحث أنه يختار في البداية منظورا في تصويره للبحث، لكن سرعان ما يفلت من تفكيره وجهاز مفاهيمه لصالح تصورات وطروحات نظرية أخرى قد تتعارض فلسفيا وإجرائيا مع المقاربة التي التزم بها، فيصبح البحث أشبه بالخبطة العشوائية.

4. التسف وسياقات النظرية؛ بعض النظريات العلمية الغربية التي تأتينا من خارج حدود واقعنا المجتمعي هي نظريات ذات طابع سياقي صرف، كيف يمكن للباحث أن لا يتساءل على مشروعية توظيفها وتحويلها والسماح بالتحايل فيها قصد تسخيرها التسفي في تشخيص وفك ظواهرنا المجتمعية! بعض المجتهدين يقرون بجواز تطويع تصورات تلك النظريات وركائزها ثم إخضاعها لسياقنا الخاص. حتى وإن حدث وقمنا بتكييف وتطويع النظرية بأخذ المرتكزات التي تخدمنا واستبعاد نظيرتها التي لا تخدمنا - تتعارض مع سياقنا -، ألا يعدّ هذا تسفًا علميًا غير مقبول؟ إذ في هذه الحالة نحن قمنا بتجريد النظرية من خصوصيتها الفكرية؛ على اعتبار أن السياق هو الفضاء الذي يحوي تصورات وممارسات الأفراد فيما له علاقة بالأشكال الاتصالية المختلفة والحوامل الإعلامية المتنوعة التي نعتكف في الغالب على دراستها.

مثل هذه الممارسات البحثية تدفعنا للاعتراف أننا لا نشتغل منهجيا ومعرفيا، لأن الاشتغال الحقيقي يبدأ بالتفكير الجاد في رسم وخلق مقاربات معرفية على مقاس الخصوصيات المجتمعية من قيم وممارسات وسلوكيات... دون إقصاء للنظريات العربية التي تبقى مرجعا ودليلا شارحا وخيارا نظريا موازيا يمكن الاسترشاد به في مسارات البحث.

5. تكثيف المعلومة مع تغييب المعنى: إن توظيف المعلومات العامة والأفكار الاستهلاكية المتداولة على نطاق واسع وفرضها عنوة في متن البحث النظري، غالبا ما كان السبب الرئيس في ضعف قيمة البحث وغياب المعنى، وهذا ما يؤثر عمليا في تشويه الحقيقة وإنتاج المعرفة المتخصصة في ميدان علوم الاتصال والإعلام. وفي سياق هذه المسألة، يُلفت انتباهنا فضيل دليو إلى مسألة يعطيها طابعا نفسيا وهي مشكلة الحشو في الجانب النظري خاصة و/ أو اعتماد خطوات وقوالب بحثية جاهزة موروثية منذ السبعينيات عن بعض المتعاونين الأجانب العرب والفرنسيين ومورثة من طرف بعض الأساتذة ومتبعة من طرف بعض الطلبة دون تمحيص، عن جهل أو اتقاء لرد فعل بعض المشرفين وأعضاء لجان المناقشة. (دليو 2022) هذا عدا غياب الترابط والاتساق المشروط بين المباحث والمطالب في العمل ككل. (ضيف 2022)

د. الهفوات المسجلة على مستوى الجوانب التطبيقية للبحث:

1. البحث خارج البراديجم العلمي: تعتبر هذه المسألة من أهم نقائص وهفوات أغلب البحوث العلمية في ميدان الإعلام والاتصال، فالباحث لا يتموقع من البداية ولا يلتزم ببراديجم واضح يسترشد به كجهاز تصوري في مسار المشروع البحثي؛ البراديجم الذي يمثل نموذجا في كيفية تفكير الإنسان حيال الأمور والأشياء والأحداث المرتبطة بالواقع، اعتمادا على مجموعة من المفاهيم والنظريات التي ترسم وجهة نظر معينة حول موضوع محدد أو أي مجال. (زردان 2019) على أن البراديجمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال يتم تحديدها عادة في أربع (السلوكي، السيبرنطقي، الوظيفي والتأويلي)، (سعد 2011) وبالتالي تتموقع أغلب البحوث والدراسات المنجزة داخل هذه البراديجمات أو المنظورات إن صح التعبير.

2. ارتباك التَمَوُّع الاستيمولوجي في مسارات البحث؛ إذ غالبًا ما كانت الهوية الإستيمية للباحث وبحثه تكشفها طبيعة إشكالية البحث وأهدافه المحورية وبطبيعة الحال مناهجه المختارة وأدواته التي استعان بها، وفي ضوءها يتحدد طبيعة ومسار وهوية ومنهجية هذا البحث بعينه. غير أنَّ بعض البحوث العلمية تتعارض فيها الخيارات الإجرائية والمنهجية مع بعضها البعض، ومن ذلك مثلاً اعترافه - لفضلاً أو تلميحاً - بقيمة البحوث التوعية وبأهلية الأدوات والتقنيات البحثية ذات الطابع التأويلي والسياقي، لكن سرعان ما يغرق في الجداول الإحصائية وتفسير الأرقام المرصودة والانكشاف في ترجمة الجداول بطريقة لا تراعي لا ذات المبحوث ولا تأويله كفاعل اجتماعي ولا سياق عيشه، ولا تأويله هو كباحث.

في هذا المقام تُسجَّل بوزيفي مسألة عدم فهم الطَّلَبَة لطبيعة بحوث علوم الإعلام والاتصال وتفرقتهم بين البحوث التي تتطلب تساؤلات علمية والبحاث التي تقتضي فرضيات، إذ نتصادف أحياناً مع رسائل جامعية يقوم أصحابها بوضع فرضيات علمية، في الوقت الذي يقرّون فيه أنَّ دراستهم تعتمد على تحليل المضمون أو تحليل الخطاب. (بوزيفي 2022)

3. الولاء الأعمى للمنهج الواحد؛ فغالبيتها البحوث الميدانية في علوم الاتصال والإعلام تنكرت للمناهج الكيفية، وسار الجميع في درب المناهج الكمية - لأسباب كثيرة لا يسمح المقام بعدها -، من المهم جداً فهم مسألتها التعددية والتنوع كقيمتين إجرائيتين مهمتين، فالاستفادة من تكاملية المنهجين ممكنة بل ومنتجة، يشير **فضيل دليو** إلى أنَّه في بحوث علوم الاتصال يمكن للمقاربات الكمية لموضوعات بحثية تخص العوامل المؤثرة في التعرض لوسائل الإعلام وآثار التغطية السياسية في السلوك الانتخابي وآثار الانترنت على التحصيل الدراسي... أن تُستكمل بمقاربات كيفية من خلال التفاعلات الذاتية للجمهور أو للطلبة... مع المحتويات الإعلامية والسياسية بالتركيب أو التقاطع أو التوازي. (دليو، 2022، الصفحات 38 - 39)

والهاجس هنا أنَّه بعيداً عن الخيارات المنهجية المتاحة وفرص الاشتغال في المنحيين الكيفي والكمي، ألا يمكن أن نشق طريقاً بحثياً يُمازج بين كلا المنهجين؟ ألا يُمكن للدراسات التحليلية مثلاً أن نستخدم فيها توليفة مناهج مختلفة - تفرض اللحظة البحثية على استحضارها - أو ما يُشاع عليها علمياً اليوم بـ "فوضى المناهج"؛ وهو توظيف أُريد به حاجة الباحث إلى اختراق مختلف المناهج وحتى العلوم المتاحة بمقربة من تخصصه في إطار تجاسر التخصصات وتعددتها Multidisciplinary وهو يفكر في قضايا مجاله.

إنَّ اختراق هذه التخصصات وتطوير المستل منها يمنح الباحث في علوم الاتصال والإعلام قدرة على توسيع النّظر والأفق من خلال التأمّل السليم والتأويل المناسب وتشكيل المعاني بمهارة داخل وخارج الإشكاليات والظواهر التي يتناولها. باختصار الاتصال هو علم ملتقى Science de jonction رغماً عنّا نحن مترابطين في شبكة ميادين علمية أخرى؟

4. معاداة الأخلاق العلمية: وهي ظاهرة مخيفة تزداد توسعاً في حقل علوم الإعلام والاتصال كما في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية ككل، فممارسة "الحيلة العلمية" لها أوجه عديدة قد تكون (مباشرة/ غير مباشرة)، (جزئية/ كلية)... تكون في التّعبير العلمية، البيانات الإحصائية، الأسماء، العناوين، السنوات... وغيرها، إنَّ هذه الظاهرة المقلقة تعبر عن نقض القواعد والمبادئ العامة المتفق على التحلي بها وسط مجتمع الباحثين، والتي تتمظهر في أشكال عدّة: سرقة الأفكار، نهب المشاريع، تهويل حوادث، تهوين قصص مجتمعية، تزييف لحقائق، تزوير بيانات، إفشاء أسرار المبحوثين، استغلال لمعلومات... وغيرها.

ويمكن هنا فتح قوس مع الدراسات الإثنوغرافية التطبيقية في ميدان الاتصال، والتي يسترشد فيها الباحث بأدوات وتقنيات وأساليب ذات طابع شخصي لتحصيل بياناته المستهدفة. إنَّ هذا النوع من الدراسات تحديداً يُمكّن الباحث من أن يكون بمقربة وعلى "مسافة الصّفَر" من مبحوثيه، في هذه الحالة يكون عارفاً بأسرارهم وتفصيل عيشتهم وما يجول بخاطرهم ونفسياتهم... إنَّ العمل على استغلال هذه البيانات وتوظيفها بأيّ شكل من الأشكال السّابق الإشارة لها، يعد نقضاً لأخلاق الباحث وضرباً للقيم وأخلاقيات البحث العلمي عرض الحائط.

V - توصيات البحث:

تخلّص هذه الورقة العلمية إلى ضبط مجموعة من المقترحات العملية ذات الأولوية من وجهة نظر الباحث، وهي مقترحات ترمي أساساً إلى النهوض بعمليات الإنتاج العلمي أكاديمياً ومحاولة تحسين جودة المنتجات البحثية في بحوث المشتغلين بميدان علوم الاتصال والإعلام ودراسات الميديا الجديدة، وهي على النحو الآتي:

- ضرورة تكثيف الورشات المنهجية داخل أقسام وكليات الاتصال والإعلام ببرمجة محاور كبرى متسلسلة ومدرسة غرضها الأساسي تذليل الصعوبات المنهجية، النظرية والميدانية التي يواجهها الطلبة خصوصاً في مرحلة التكوين القاعدي (الجذع مشترك)، مع عدم الاكتفاء بالنصوص والمداخلات النظرية، وإنما العمل على الإسقاط الميداني ومرافقة الطلبة في إنجاز وتنفيذ بحوث صفية نموذجية.
- ربطاً بما سبق، إعادة الاعتبار لحلقات "إعداد المذكرة" في طور الماستر و"حلقات البحث" في طور الدكتوراه، وتأمين هذه الساعات المعرفية، بتكليف الطلبة الباحثين الثمرن على تنفيذ ورفع إشكاليات علمية والبحث فيها، مع عدم الغرق في الجوانب النظرية والفكرية؛ فالمعزى في الميدان وليس الانعتاق للنظري فقط. وهذا عملياً يترجم ما أشار إليه الباحث Ian Craib حينما أكد على ضرورة أن ينتقل علم الاجتماع من المخبر إلى الميدان. والأمر نفسه بالنسبة لبحوث الاتصال والإعلام.
- تسطير وبرمجة دورات تكوينية مغلقة لفائدة الطلبة والأساتذة الباحثين في مجالات مختلفة ذات ارتباط بحركة البحث، كالبرامج الإحصائية: مثل البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS، وبرنامج التحليل الإحصائي SAS، وبرنامج تحليل البيانات النوعية NVivo ... وغيرهم، وهذا من باب إكساب هؤلاء مهارة البحث الميداني والتحكم الأمثل في المسارات البحثية باستخدام العدة الرياضية.
- تشجيع البحوث الميدانية الجماعية أو المشتركة، على شاكلة بحوث مراكز الأبحاث التي تكون مؤطرة وموجهة بشكل مدروس لتحقيق الأهداف البحثية، خصوصاً البحوث التي تتوجه إلى مجتمعات بحثية واسعة المفردات، أو البحوث العلمية التي تتطلب تركيزاً وحذراً إضافياً عند إجراء البحوث النوعية مثلاً. وهذا هو الأصل في البحث العلمي "العمل الجمعي"، أو أقرب إلى ما أسماه توماس كون Thomas Kun بالجماعة العلمية التي تنضوي داخل هدف واحد في مسار حركة العلم.
- تأطير ورشات علمية خاصة "بالكتابة العلمية ولغة البحوث" يشرف عليها أساتذة متخصصون ومدققون في اللغة، في فرصة لاستظهار واقع الكتابة العلمية (حالات، نماذج...) والتحديات التي يواجهها الباحث، فاللغة هي القلب الأهم في إنتاج المعرفة وعرض الحقيقة.
- تفعيل لقاءات وورشات علمية تعنى بالتوعية من مخاطر وتهديدات أنظمة الذكاء الاصطناعي AI Systmes؛ فالاستخدام اللا واعى لأدواته المختلفة في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية تحدياً، ميع البحوث المنجزة ووسع في دائرة الاستسهال والتسطيح المرفوضين في التقاليد العلمية. خصوصاً مع ظاهرة الاتكالية المطلقة على الأدمغة الآلية، فهل يعقل الوثوق إلى هذا الحد في المهام التي ينجزها الذكاء الاصطناعي!
- يضيء هذا البحث أيضاً أفقاً مهماً جداً للباحثين والأساتذة وهو ضرورة التقصي في الهفوات والنقائص البحثية في ميدان علوم الاتصال والإعلام من حيث المستويات التعبيرية والأسلوبية العلمية، لما لها من تأثير كبير جداً في إنتاج المعنى والمعرفة، حيث أنّ ما لمسناه هو أنّ هنالك ضعف رهيب جداً في "الأسلوبية العلمية" التي كثيراً ما تضعف من موقف الباحث أكاديمياً، وتعصف بجهد المعرفي مبكراً.
- ضرورة الانفتاح البحثي على مختلف المشارب والتيارات والمدارس العلمية المتاحة في ميدان الاتصال والإعلام ودراسات الميديا الجديدة، دون الانعتاق لتيار فكري أو مدرسة علمية معينة على حساب التيارات العلمية الأخرى التي من شأنها أن توسع دائرة المعرفة في التخصص، خصوصاً وأنّ السياق المعرفي المحلي في ميدان الإعلام والاتصال تشرب من المدرسة الأوروبية أكثر من المدارس الأخرى لسنوات طويلة. إلى غاية بروز جيل جديد - ما بعد الألفية الثالثة تحديداً - الذي انفتح أكثر على تيارات ومدارس معاصرة أخرى أسهمت التطورات التكنولوجية المتسارعة في الوصول لحركتها العلمية وجهودها البحثية، أين بدأت معها حركة النقل والترجمة من المدارس الأنجلوساكسونية إلى اللغة العربية.
- ضرورة خلق أرضية وطنية للمواضيع التي تمّ معالجتها والتي ينبغي معالجتها في ميدان علوم الاتصال والإعلام ودراسات الميديا الجديدة، حيث تمّ ملاحظة - كما أشير له سابقاً - تكرار الكثير من المواضيع من جهة والمواضيع البعيدة عن معطيات الواقع من جهة أخرى، فغياب التنسيق بين الجامعات والأقسام هو مردّ هذا الوضع مع غياب الرؤية البحثية والجدوى من البحث في هذا الحقل المعرفي. وهذا في سبيل تجاوز مشكلة الاستهلاكية والتنميط في معالجة الظواهر العلمية.

VI- الخاتمة:

تأسيساً على سبق، إنّ مشكلات البحث في ميدان الاتصال والإعلام تتلخّص في عدم مقدرتنا الإجابة عن ثلاث استفسامات كبرى؛ ماذا نبحت؟ لماذا نبحت؟ وكيف نبحت؟ فالمشاريع العلمية (المذكرات أو حتّى الأطروحات العلمية) التي لا تتوفر على أساسات البحث ومنطلقاته السليمة تصبح أشبه بالهيكل الذي لا يقود لشيء؛ والمشاريع التي لا توصل لشيء هي المشاريع التي وجدت بلا فكرة، لا رؤية ولا أفق؛ إشكاليات علمية Standard، استهلاك عشوائي لمناهج وتقنيات البحث، مفاهيم بحث بلا أبعاد ولا مؤثرات، دراسات سابقة تشبه العنوان ولا تمت بصلة للبحث، كل هذا هو مآل حتمي لشيوع ثقافة التسطيح والاختزالية وإنهاء المهمة في آجال زمنية محدّدة.

إنّ الاستسهال وغياب الجدية والمرافقة العلمية الصارمة، أنتج منظومة بحث لا تفرّق بين البحث كخطوة في مسار وإجراء إلزامي، والبحث كخيار وقناعة تمنح الفرصة لتقديم الإضافة وبعث الأفق وخلق التراكمية والإرث المعرفي. ولا شك أنّ هذا الوضع تتحمّل مسؤوليته مختلف الأطراف الفاعلة بدءاً بالباحثين أصحاب المشاريع، والمشرّفين والمؤطّرين الذين يُكلّفون بالمرافقة العلمية والتوجيه المستمر، وصولاً إلى اللجان العلمية والدوائر الإدارية المخوّلة باتخاذ القرار والمُنَاط بها محاصرة المشكلات والحزم أكثر حيال ممارسة البحث والإنتاج العلمي.

إنّ ما يُلحّ عليه هذا البحث في نهايته، هو ضرورة فتح نقاش علمي جاد بين المتخصّصين والخبراء لمساءلة وتقييم مسارات البحوث العلمية المنجزة في تخصص الإعلام والاتصال بعد أزيد من نصف قرن من الجهود والوجود في الجامعة الجزائرية، ما الشيء الذي أضافته للمعرفة؟ ما الذي غيّره؟ ما الذي أغفلته؟ ما هي أبرز صعوبات البحث والعراقيل الميدانية التي تواجه الباحثين؟ كيف استثمرنا هذه البحوث في محيطنا المعيش؟ وما هو الأفق والتّحدي الذي يواجه بحوث الإعلام والاتصال خصوصاً مع التّحولات الرّقمية المتسارعة التي يشهدها العالم.

إنّ استسهال حالات الاستهلاكية والتسطيح والاستسلام للاختزالية وتقبل فكرة عدم الإضافة للمعرفة المنجزة في علوم الاتصال والإعلام على وجه التّحديد، من شأنه أن يُعمّق الأزمة أكثر في تخصص لا يزال يبحث عن هويته النظرية والمعرفية بين مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي سياق اجتماعي وثقافي ومعرفي غير مستقر لم يتبلور بالشكل الذي يمكّن من الاستثمار عملياً في مخرجات مختلف العمليات البحثية الممكنة.

الملاحق: ملحق يضمن قائمة الأساتذة المُقابلون في البحث.

الأساتذة المُقابلون	الرتبة العلمية (حالياً)	الجامعة المنتمي إليها	تاريخ إجراء المقابلة
فضيل دليو	أستاذ التّعليم العالي	جامعة صالح بونيدر / قسنطينة 3	08 . 12 . 2022
غالم عبد الوهاب	أستاذ التّعليم العالي	جامعة أحمد بن بلّة / وهران 1	11 . 12 . 2022
العربي حجام	أستاذ التّعليم العالي	جامعة العربي بن مهيدي / أم البواقي	20 . 04 . 2024
سكينة العابد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة صالح بونيدر / قسنطينة 3	02 . 01 . 2023
آمنة قجالي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة صالح بونيدر / قسنطينة 3	14 . 12 . 2022
ليندة ضيف	أستاذ التّعليم العالي	جامعة العربي بن مهيدي / أم البواقي	11 . 12 . 2022
الطيب البار	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي بن مهيدي / أم البواقي	20 . 04 . 2024
وهيبة بوزيفي	أستاذ محاضر أ	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط / الجزائر 3	13 . 12 . 2022
حياة قزادري (رحمها الله)	أستاذ محاضر أ - آنذاك-	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط / الجزائر 3	30 . 12 . 2022

المراجع:

1. Cabin et autres, P. (1998). *La communication; Etat de savoir*. Auxerre/ France: Ed science humaines.
2. معتصم بابكر مصطفى. (07 09, 2022). بحوث الاتصال في العالم العربي وفعاليتها في إثراء المعرفة الإعلامية النظرية. تاريخ الاسترداد 19 04, 2024، من <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5456#>
3. فضيل دليو. (2022). البحوث الكيفية - الأسس والمناهج -. عمان/ الأردن: ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، ص 14.
4. مورييس أنجرس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية - تدريبات عملية -. (بوزيد صحراوي وآخرون، المترجمون) الجزائر: دار القصة للنشر، ص 470.
5. أمين محمد سلام المناسبة. (1995). قواعد البحث العلمي ومناهجه ومصادر الدراسات الإسلامية. الأردن: مؤسسة رام للتكنولوجيا والكومبيوتر، ص 16.
6. مورييس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 470.
7. فضيل دليو. (2022). البحوث الكيفية - الأسس والمناهج -. مرجع سبق ذكره، ص 17.
8. محمد شيا. (08 10, 2018). محاضرة علمية حول المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. لبنان، المعهد العالي للدكتوراه - الجامعة اللبنانية.
9. مي العبد الله، و عبد الكريم شين. (2012). المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال - المشروع العربي لتوحيد المصطلحات - (الإصدار 01). بيروت/ لبنان: دار النهضة العربية، ص 72.
10. Popper, K. (1989). *Conjectures and Refutations*. Londres: Routledge, P 67.
11. سعيد لوصيف. (2016). التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي بين التخصصات والتوقع الاستمولوجي. تأليف سعيد لوصيف، نصر الدين ليعاضي، عزيز ليعان، مخلوف بوكروح، و رضوان بوجمعة، التفكير في منهيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري - التوقعات الاستمولوجية والتقاطعات المعرفية -. الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3: مخبر بحث: استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، ص 43 - 44.
12. العربي حجام. (20 04, 2024). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (بن الصغير يعقوب، المحاور)
13. عبد الوهاب عالم. (11 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
14. فضيل دليو. (08 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
15. سكيانة العابد. (02 01, 2023). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
16. الطيب البار. (20 04, 2024). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (بن الصغير يعقوب، المحاور)
17. حياة قزادري. (30 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
18. آمنة فجال. (14 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
19. نصر الدين ليعاضي. (2016). علوم الإعلام والاتصال: "من التفكير بالمنهج إلى التفكير في المنهجيات. تأليف التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري، التوقعات الاستمولوجية والتقاطعات المعرفية (الإصدار 01). الجزائر، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، ص 122.
20. فضيل دليو. (08 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سبق ذكره.
21. ليندة ضيف. (11 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)

22. محسن زردان. (27 03, 2019). إضاءة حول مفهوم البراديغم في التحليل السوسيولوجي. تاريخ الاسترداد 02 02, 2024، من هسبريس: <https://www.hespress.com/>
23. حسين سعد. (19 03, 2011). البراديغمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال وإشكالياتها المعرفية. مساهمة في الحلقة البحثية "البراديغمات العلمية" لطلاب الدكتوراه اللبنانية. لبنان.
24. وهيبة بوزيفي. (13 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)
25. فضيل دليو. (2022). البحوث الكيفية – الأسس والمناهج -، مرجع سبق ذكره، ص 38 - 39.